



# مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة  
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## الأدب الصوفي وأسباب نهضته في نيجيريا

د/ شيخ جاوندو أبندي

محاضر بقسم تدريس الإسلاميات والتربية بالعربية، معهد اللغات، كلية التربية، ولاية كوارا، نيجيريا

التوطئة : هذه الورقة تلقي الضوء بالإيجاز على الأدب الصوفي في نيجيريا وأسباب نهضته.

الأدب الصوفي: مفهومه وأقسامه

الأدب الصوفي عبارة عن مقولات الصوفية في أحوالهم المختلفة في صحوهم وسكرهم وفي علوهم وإسفافهم وفي لحظات الصفاء والانتشار وفي أوقات الخمود والجمود وغيرها من الأحوال التي يتقلب فيها المتصوف من أول الطريق إلى آخره (١). وبتعبير آخر هو الأدب الذي أنتجه الرجال الصوفية أو العبارات المنظومة والمنثورة التي أبدى بها الصوفية أحوالهم ومشاعرهم وخلجات صدورهم ووجداناتهم وما مروا عليه من التجارب في عالمهم الصوفي. ومن الجدير بالإشارة أنه لا يعدّ صوفيا إلا كل عمل أدبي- شعرا كان أو نثرا- يعالج قضية من القضايا الصوفية. والأدب الصوفي على قسمين أساسيين هما الشعر الصوفي والنثر الصوفي. وفي مطلع الأدب الصوفي في نيجيريا تغلب النثر الصوفي على شعره وذلك لمسيب حاجة الأدباء الصوفيين إلى تدوين علوم التصوف وبيان الشروط المتعلقة بقبول الطرق الصوفية وملازمة أذكارها. فلما استقرّ أقدام المتصوفين، اضطرّ الصوفيون إلى إعلان وجداناتهم والتعبير عن مشاعرهم وما يحدث في عالمهم الباطن، فوجدوا الشعر أداة رائعة تعين بكثير في تحقيق غايتهم وصرخوا عنان أقلامهم إليه فارتفع غبار الشعر الصوفي في أفاق الأدب العربي النيجيري ولا تزال ناره متوقدة إلى الوقت الراهن.

نبذة تاريخية عن الأدب الصوفي وأسباب نهضته في نيجيريا

ومما لا يقبل الشك هو أن الأدب الصوفي لم يكن حديث العهد في ديار نيجيريا ولكنه قديم قدم الإسلام فيها لأن التاريخ أثبت الحقيقة أن التصوف رافق الإسلام عند دخوله فيها ولعب دورا فعلا في نشره في جميع أنحاء بلادها. ويؤيد هذا الادعاء قول الدكتور شيخ عثمان كبر حيث يقول: "يرتبط تاريخ دخول الطرق الصوفية في نيجيريا بدخول الإسلام فيها ولقد كان للطرق الصوفية دور ملموس ومجهود جبار في نشر الإسلام وثقافته في بلاد السودان وانتشرت هذه الطرق في القارة الأفريقية منذ عهد قديم" (٢).

١ عبد الكريم الخطيب (١٩٦٥م). الأدب الصوفي في مفهوم جديد. القاهرة: دار الثقافة العربية للطباعة، ص ٢٠.  
٢ شيخ عثمان كبر (٢٠٠٠م). الشعر الصوفي في نيجيريا (دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من إنتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين). مصر: النهار، ص ٧٩.

تأسيساً على هذا، كان الأدب الصوفي في نيجيريا أدبا أصيلاً بيد أنه بطئ التطور ولم يشعر الناس بوجوده إلا في القرن التاسع عشر عن طريق أكابر علمانه الصوفية الذين نشروا ونظموا في التصوف كالشيخ المجاهد الإسلامي الكبير عثمان بن محمد بن فودي الذي كتب "السلاسل الذهبية للسادات الصوفية" و"السلاسل القادرية". والشيخ عبد الله بن محمد بن فودي الذي ألف "بيان الأركان والشروط للطريقة الصوفية" والشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي الذي جاء منه كتاب "فتح الباب في ذكر بعض خصائص الشيخ عبد القادر" و"كتاب الأدب لمن توسل بأهل الله" (١). وقد يكون سبب قلة إنتاجات الأدب الصوفي في هذا العصر قلة العلماء الذين يجيدون الكتابة باللغة العربية الفصحى وقلة التسهيلات كالأوراق الكتابية والمطابع العربية وفقدان المدارس العربية النظامية وشدة رغبة الصوفية حينذاك في العبادات دون غيرها.

وفي القرن العشرين خصوصاً بعد استقلال نيجيريا من قيود المستعمرين السياسية، نهض الأدب الصوفي وازدهر ومن أسباب نهضته الأمور الآتية ذكرها:

١- اتصال صوفية نيجيريا بزملائهم بالعالم الخارجي: كان معظم متصوفي نيجيريا يؤدون حقوقهم الصوفية على منوال آبائهم أو شيوخهم الغابرين قبل أن قدر الله اتصالهم بالشيوخ الوافدين من البلدان الخارجية. وعلى رأس الشيوخ الوافدين إلى نيجيريا الشيخ إبراهيم بن عبد الله إنياس الكولخي الذي فتح عيون الناس إلى التصوف وكيفيته وسهل لهم فهم أدبه. ومصدق هذا قول ميغري: "لقد تأثر التجانيون النيجيريون بالشيخ إبراهيم إنياس وجركته تأثراً عميقاً" (٢). فاضطر العلماء الصوفية في نيجيريا إلى تدوين خبراتهم الصوفية الجديدة في الكتب بغرض تعميم الفوائد.

٢- وفرة المراجع الصوفية: في أول وهلة، كان عدم وجود الكتب التي يرجع إليها في التصوف من أكبر معوقات للمتصوفين النيجيريين قبل اتصالهم بالعالم الصوفي الخارجي. فلما فتحت نيجيريا أبوابها للشيوخ الصوفيين الوافدين، دخلوها بألوان من المراجع الصوفية التي في متناولهم لما رأوا من شدة رغبة النيجيريين فيها، فامتألت أسواق الكتب بالمراجع الصوفية وسهل على المتصوفين من العلماء القراءة عن التصوف والكتابة فيه.

٣- إقبال الناس على التصوف: لقد ساعد العاملان السابقان على جذب عدد جسيم من الناس إلى معانقة التصوف بملازمة أذكار الطريقة المختارة من ضمن الطرق الصوفية الموجودة. وبدخول أعلام الأدب العربي النيجيري في الحلقة الصوفية ارتفع مستوى الأدب الصوفي شعراً ونثراً.

٤- حركة المنكرين على التصوف وأصحابه: ليس هناك شرط لدخول الطرق الصوفية غير الإسلام. فمن كان مسلماً جاز له الطريقة، أحسن إسلامه أم لا. فبهذا، دخل في التصوف النقاية والنفاية أو الصالح والطالح، فنشأ من تصرفاتهم ما يسميه السلفيون بالبدعة فقام جماعة السننيين من العلماء والأفراد بمقاومتهم مقاومة لسانية وكتابية فاضطر الصوفية النيجيريون إلى مواجهة التحديات بالرد على الإنكار على التصوف وأهله ونتج منها كتب شتى. ومن أمثال الكتب المقدمة في الرد على المنكرين كتاب بعنوان "رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات" أخرجه لجنة جماعة الصوفية في مدينة

١ المرجع نفسه، ص ٤٢٦.  
٢ محمد الطاهر ميغري (١٩٧٩م) الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي - حياته وآراؤه وتعاليمه. لبنان: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٤٦.

الورن" و"أحاديث خير البرية في الحركات الذكرية" للشيخ محمد الناصر الكبرى وغيرهما. وكذلك هناك دواوين شعرية في الرد على المنكرين ونفي العيوب عن التصوف وأهله. ويقع نموذجا في هذا الصدد شعر الشيخ حمزة سلمان أبارغدوما في الدفاع عن التصوف والمتصوفين:

انتبهوا يا معشر الإخوان\*\* على فساد واعظي الزمان  
 قد دخلوا في هذه البلدان\*\* لنصرة الإلحاد والشيطان  
 وطعنوا في شيخنا التجاني\*\* وطعنوا في شيخنا الجيلاني  
 وطعنوا في أوليا الرحمن\*\* وطعنوا في شيخنا عثمان  
 وكفروا المؤمن بالديان\*\* ولم يراعوا ذمة الإيمان  
 إياكم يا معشر الإخوان\*\* أن تسمعوا مقالة البهتان  
 وكل من في خدمة القرآن\*\* والذكر والأوراد بالبرهان  
 جملتهم مع أوليا الرحمن\*\* رتبهم تعلقو على الكيوان  
 أذكراهم بالقلب واللسان\*\* ولم يخافوا لومة الإنسان  
 قد ارتقوا من رتبة الإيمان\*\* حتى علوا لرتبة الإحسان  
 من اقتدى بهم مدى الزمان\*\* كان على السنة والقرآن  
 ناظم هذا حمزة سلماني\*\* أحمد لله على الإيمان (١)

٥- نهضة الشعر العربي في نيجيريا: بدأت النهضة الشعرية في القرن التاسع عشر عندما قام العلماء بتحويل المنثورات إلى المنظومات<sup>(٢)</sup>، واستمرت حتى القرن العشرين حينما ازدهر الشعر العربي وكثر الشعراء من العلماء وطلاب العلم. وفي هذا الوقت نفسه، نهض الشعر الصوفي. وكان المتصوفون يتغنون بأشعارهم الصوفية في زواياهم ومناسباتهم الصوفية وقد نشر من الأشعار الصوفية ما لا يدخل تحت الحصر.

#### ٦- جهود الباحثين الأكاديميين:

لا يتم الحديث في أسباب نهضة الأدب الصوفي في نيجيريا، بدون ذكر ما قام به الباحثون الأكاديميون في المعاهد العليا والكلية والجامعات من الأدوار الجبارة في إلقاء الضوء على أعمال العلماء الصوفية المنشورات والمخطوطات شعرا أو نثرا وتبسيطها بكشف النقاب عن أسرار معانيها. لقد شجع هذه المحاولة معظم الصوفية والمتصوفين في دفع عجلة الأدب الصوفي خصوصا الشعر الصوفي إلى الأمام لعلمهم أن هناك الباحثين الذين سوف يقومون بدراسة أعمالهم. ومما يشار إليه من البحوث في هذا القبيل بحث بعنوان: "شخصية الشيخ محمد الناصر كبر وأدبه" قدمه شيخ عثمان كبر

١ محمد إبراهيم النفاوي وعلي أبو بكر جبتا (د.ت.). رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات. مصر: مكتبة القاهرة.  
 ٢ موسى عبد السلام مصطفى أبيكن (٢٠٠٨م). الشعر الصوفي في نيجيريا: دوافع واتجاهات، في الدراسات الإسلامية، مجلة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد باكستان، (المجلة ٤٣، العدد ٤)، ص ٢٣٩.

لشعبة اللغة العربية بجامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية عام ١٩٨٠م. وبحث عنوانه: "الشيخ محمد بن إبراهيم ميماسا وإنتاجه الأدبي" قدم لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو لنيل الليسانس عام ١٩٨٨م وبحث بعنوان: "القوائد الصوفية عند الشيخ نور الدين حكيم" قدمه عبد الرحمن محمد الأول للحصول على الليسانس في العربية بجامعة إلورن عام ٢٠٠٢م، وغيرها.

#### الخاتمة

قد كشفت هذه الورقة النقاب عن الأدب الصوفي في نيجيريا وحسبت زيارات الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي وجماعة من كبار الشيوخ الصوفيين إلى نيجيريا ووفرة المراجع الصوفية وإقبال النيجيريين على التصوف ومكافحة المنكرين للتصوف والمتصوفين وازدهار الشعر العربي النيجيري وجهود الباحثين الأكاديميين مما سبب نهضة الأدب الصوفي في ديار نيجيريا.